Implications of the speech between the pragmatics of the West and the rhetoric of the Arab discourse - An applied study of the women's speech of the Karbala event

Prof. Dr. Hadi Saadoun Hanoun Al-Aridhi
E-mail: hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

Asst. Prof. Dr. Abdul Hadi Abdul Rahman Al-Shawi
E-mail: AbdulhadiAli@uokufa.edu.iq
University of Kufa / Iraq

Abstract:

Human languages, despite their differences in pronounced letters, verbal structures, and situational effects, may share some common starting points and phenomena. and the implications of the speech from linguistic phenomena shared by all human languages.

The speaker uses it reluctantly or willingly for various reasons, including his desire to overcome the issue of repetition in speech, or to motivate the recipient to contemplate and think about a specific issue, or his consideration of a certain social situation, the mention of which poses a danger to him or offends the recipient's modesty, and other factors that influence the communicative process in a given speech. This does not happen without situational indications that are understood by both the speaker and the recipient, as well as contextual clues contained in the folds of speech. Researchers, both ancient and modern, have crowded together to study this phenomenon, but what philosophers and social psychologists have provided in modern Western studies is regarded as a great service to the development of Western linguistic studies directly, and Arabic linguistic studies indirectly, as they have done what many language researchers have not been able to do.

The study will discuss the implications of speech that Western discourse studies have emphasisedin their investigating meaning in discourse, as well as its features in the Arab rhetorical heritage. We selected to describe this investigative technique of meaning in the sermons of the women involved in the Karbala events, led by Lady Zainab, peace be upon her, Lady Fatima bint al-Hussein, peace be upon them, Umm Kulthum, Umm Wahb, and others. As the conference papers allow in its fourth axis, which is concerned with contemporary linguistic studies and their impact on receiving speech, the research will include three topics, the first of which is theoretical and includes discussion of the implications of speech between the discourse of the West and the rhetoric of speech, the second on the presupposition, and the third on implicit statements, and both of them take an applied approach to the speech of the women of the Karbala incident, and we conclude the study with a set of results, and a list of sources and references

Key words :Implications of the speech , The pragmatics , Rhetoric , Discourse, Karbala event.

مُتضمنات القول بين تداوليّة الغرب وبلاغة الخطاب العربي
دراسة تطبيقيَّة في كلام نساء واقعة الطَّف

أ.د. هَادي سَعدُون هنُون العارَضِي **أ.م.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي**
جامعة الكوفة / العراق
E-mail: Abdulhadi Ali@uokufa.edu.iq E-mail: hadis.hannoon@uokufa.edu.iq

الملخص:

مهما اختلفت اللغات الإنسانيَّة في صور نُطق حروفها ، وتراكيبها اللفظيَّة ، وبعض مؤثراتها المقاميَّة إلا أنَّها قد تشترك ببعض المنطلقات، والظواهر ، ومتضمنات القول من الظواهر اللغويَّة المشتركة في جميع اللغات الإنسانيَّة ، فيلجأ المتكلم إليها مرغمًا أو راغبًا بدواعي مختلفة ، كرغبته تجاوز قضيّة التَّكرار في الكلام أو تحفيز المتلقي على التأمل والتفكير في مسألة ما ، أو مراعاته لحالة اجتماعية معينة يُحدث ذكرها خطرًا عليه أو يُخدش حياء المتلقي وغيرها من الدواعي التي تخضع لها العمليَّة التواصليَّة في خطاب ما ، وهذا الأمر لا يتم من دون قرائن مقاميَّة يدركها كل من المتكلم والمتلقي ، وقرائن سياقيَّة حاضرة في ثنايا الكلام ، وتزاحم الباحثون قديما وحديثا لدراسة هذه الظاهرة إلا أن ما قدَّمه علماء الفلسفة، والنفس الاجتماعي في الدرس الغربي الحديث يُعد خدمة كبيرة لتطور الدراسات اللغويَّة الغربيَّة بصورة مباشرة ، واللغويَّة العربيَّة بصورة غير مباشرة ففعلوا ما لم يستطع فعله كثير من باحثي اللغة .

البحث سيتحدث عن المتضمنات في الكلام التي أولاها الدرس التداولي الغربي الأهميَّة في تقصي المعنى في الخطاب ، وملامحها في التراث العربي البلاغي ، واخترنا أن نوضح هذه التقنيَّة الاستقصائيَّة للمعنى في خطب سيَّدات واقعة الطَّف تتقدمهن السيدة زينب عليها السلام ، والسيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام ، وأم كلثوم ، وأم وهب وغيرهن من النساء وبما تسمح به صحائف هذا المؤتمر في محوره الرابع الخاص بالدراسات اللسانية المعاصرة وأثرها في تلقي الخطاب ، وسيتضمن البحث ثلاثة مباحث أولها نظري يتضمن الحديث عن متضمنات القول بين تداوليّة الغرب وبلاغة الخطاب ، والثاني في الافتراض المسبق ، والثالث في الأقوال المضمرة ، وكلاهما ينحيان منحًا تطبيقيًا في كلام نساء واقعة الطف ، ونختم الدراسة بمجموعة من النتائج ، وقائمة المصادر والمراجع.

كلمات مفتاحية: متضمنات القول, التداولية, البلاغة, الخطاب, واقعة الطف.

المبحث الأول

متضمنات القول بين تداوليّة الغرب وبلاغة الخطاب

مهما اختلفت اللغات الإنسانيَّة في صور نُطق حروفها ، وتراكيبها اللفظيَّة ، وبعض مؤثراتها المقاميَّة إلا أنَّها قد تشترك ببعض المنطلقات، والظواهر ، ومتضمنات القول من الظواهر اللغويَّة المشتركة في جميع اللغات الإنسانيَّة ، فيلجأ المتكلم إليها مرغمًا أو راغبًا بدواعي مختلفة ، كرغبته تجاوز قضيّة التَّكرار في الكلام أو تحفيز المتلقي على التأمل والتفكير في مسألة ما ، أو مراعاته لحالة اجتماعيَّة معينة يُحدث ذكرها خطرًا عليه أو يُخدش حياء المتلقي وغيرها من الدواعي التي تخضع لها العمليَّة التواصليَّة في خطاب ما ، وهذا الأمر لا يتم من دون قرائن مقاميَّة يدركها كل من المتكلم والمتلقي ، وقرائن سياقيَّة حاضرة في ثنايا الكلام ، وتزاحم الباحثون قديما وحديثا لدراسة هذه الظاهرة إلا أن ما قدَّمه علماء الفلسفة، والنفس الاجتماعي في الدرس الغربي الحديث يُعد خدمة كبيرة لتطور الدراسات اللغويَّة الغربيَّة بصورة مباشرة ، واللغويَّة العربيَّة بصورة غير مباشرة ففعلوا ما لم يستطع فعله كثير من باحثي اللغة .

فعمل الباحثون في هذين العلمين على إخضاع دراساتهم لواقعيَّة ، وشموليَّة التطبيق في الدرس اللغوي، محاولين إيجاد تبريرات منطقيَّة للأقوال الكلاميَّة ، وجذور تلك الخدمة عميقة ، وأوجها عند جون أوستن (john Austin) الذي على يديه بزغ فجر التداوليَّة ، وتحديدا عام ١٩٥٥م ، وفيها إشراقة تاريخيَّة جديدة للعلوم المعرفيَّة ، فهي من أعطت لتلك الأرواح الجامدة الحركيَّة والفاعليَّة في التعامل مع النصوص الخطابيَّة ؛ لأن فيها ((يكاد تاريخ العلوم المعرفيَّة يتطابق وتاريخ ميلاد التداوليَّة))[١] ،فكانت البدايَّة الجديدة في محاولة التفريق بين الجمل الوصفيَّة ،وهي الجمل التي يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والجمل الإنشائيَّة التي لا تحتمل الوصف ، وإنما هي دعوة لفعل شيء ما ، ومن ذلك نشأة الأفعال الكلاميَّة فيما بعد ، وتحوَّلت حينها من الجانب الفلسفي إلى الاستعمال اللغوي في أبعاده التواصليَّة المنتجة، فأصبحت تهتم بقضايا التلاؤم في سياقات الخطاب التعبيريّة ، وسياقاتها المقاميَّة ، وعلاقاتها المنطقيَّة ، فشغلت ميادين جديدة لم تشغلها المناهج السابقة ، فمنحت نفسها الحق في دخول عوالم المتكلم، والمتلقي ، والظروف المحيطة بهما بشكل مفصل ، وأشركت علم النفس ، والاجتماع لتشريح الخطاب والتعمق في تفاصيله المعرفيَّة .

عرفنا التداوليَّة سابقا بأنها العلم الذي يبحث عن المعنى الناتج من استعمال اللغة بين المتكلم والمتلقي في محيط سياقاتها المقاميَّة . فما يميزها عن غيرها في المجال اللغوي حرصها عن بحث المعنى المتولد من استعمال اللغة ، وهذا الأمر تشترك به المتضمنات مع الأبعاد التداوليَّة الأخرى ، فهي لا تنظر إلى المعاني الصريحة ، أو المباشرة ، أو الواضحة بين طرفي الخطاب ، فمهمتها استخلاص القضايا غير الواضحة ، والمتضمنة في الأقوال[٢]، فتغور في عمق هذه القضايا بأقوالها المعروضة ؛ لتلتقط معنىً ، أو

مضمونًا كامنًا خلف تلك الألفاظ ، وهذا المضمون أو المعنى يعرفه ، ويقرّ به طرفي الخطاب ، وعلى هذا الأساس لا تدخل المعاني التي يكذّبها المتلقي ، فيفشل الخطاب الموجه له من قبل المتكلّم ،وبذلك تكون من المفاهيم الأساسيَّة في التداوليَّة تعمل على إيصال بعض المعاني الكامنة من دون تلفظها في صريح القول[٣]، وعلى هذا الأساس، وهذه الفكرة عُدَّت المتضمنات: ((المعنى الإضافيَّ الذي توحي به كلمة ما زائدة على معناها الأصلي))[٤] ، هذه الفكرة في مفهومها ، ومصطلحها لا تبتعد كثيرًا عن المباحث البلاغيَّة في الموروث العربي القديم تحديدًا ، وهنا نؤكد أن حديثنا في هذه العلاقة لا تختص بالدراسات التداوليَّة العربيَّة الحديثة ، ونقولها بأمانة هذه الدراسات لم توفق في البحث، والتمحيص ، والكشف ، ومن ثم الإبداع في وضع المصطلحات للمفاهيم العربيَّة القديمة التي قد تتلاقى أو تتعارض مع المفاهيم اللغويَّة الغربية ، واكتفى جلّها بنقل المصطلح الغربي ، ومقايستها مع المفهوم العربي ، والقول بأن تلك المصطلحات هي موجودة في التراث البلاغي العربي ، ومن ثم إظهار شواهد تلك المفاهيم في الدرس القديم ، وبهذه الطريقة لا يمكن أن نعد هذا العمل إبداعًا معرفيًا بقدر ما هو عمليّة نقل أو ترجمة ،ومقايسة من دون ابتكار مصطلحا عربيا جديدا لا يشابه ، ويسبق المصطلح الغربي؛ لذلك ندعو إلى ضَرُورَة الكشف والرَّبط الواعي بين تراثنا العَرَبي والنِّتاج الغَربي ، وخلق معرفة جديدة منبثقة من الدَّرس العَرَبي قادرة على مد تجلياتها المعرفيَّة إلى أفقٍ أخرى ، وجعل البيئة العَرَبيَّة بيئة منتجة لا بيئة مستهلكة للفكر ، والأدب والعلوم بشكل عام ، ومن يعمق البحث في الدرس البلاغي القديم يجد فكرة المتضمنات القوليَّة من أقرب الأفكار الحاضرة في كتب العلماء القدامى ، فتنبه علماء التداوليَّة الغربيَّة ، وعلى رأسهم غرايس ، بأن الكلام في الخطاب قد يكون متناقضا ، وهو على نوعين : ((الكلام البيّن ، والكلام المُضمر ، قائلا: يُقصد من التكلم بشكل بيِّن (أن نتحدث عن أمر ما) ، في حين يراد من التحدث بشكل مضمر(أن نوحي لأحدا لأشخاص بالتفكير في أمرٍ ما)))[٥]،ويقصد بهذا كله ببساطة أن الأقوال مرَّة تكون مباشرة واضحة لا تحتاج إلى كد للذهن في معرفة المعاني ، فهي حديث الصريح في أمر ما ،أو تحمل معاني غير مصرَّح بها ففيها معاني غير مباشرة مضمرة تستوجب كد الذهن لتقصيها ، ومعرفتها في الخطاب نفسه ،وقد تولّد الاستهانة بتلك المعاني ، وحملها على ظاهر القول بمشاكل الفهم ، والتواصل بين المتخاطبين فقد ((لاحظنا مرات عديدة أن لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة ، ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرًا مباشرًا ، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عبر عنها تعبيرا مباشرًا))[٦]

هذه الفكرة برمتها غير بعيدة عن تصورات علماء البلاغة العربيَّة ، وهذا التقارب لا يقف عند حدود المفهوم ، وإنما يتجاوزه إلى المصطلح ، فيرد في الدرس العربي القيم تحت مسميّات كثيرة[٧]، (الحذف) و(الإضمار) ما شاع منها في متابعة الدارسين ، فاختلف بعضهم في تحديد كل منهما ، فمنهم من يرى أنهما واحد ، ومنهم من يرى أن لكل منهما حدودا فاصلة[٨]، إلا أنها في مجملها مفهومًا ، وفكرةً تتعالق مع

متضمنات القول في الدرس التداولي الغربي ، ولنشرع من سيبويه (١٨٠هـ) ، وعنده لا تجد فروقا كبيرة بين المفهومين إن لم نجد تطابقا تاما ، فيقول : ((وإنّما صار الإضمار معرفةً ؛ لأَنك إنَّما تُضمرُ اسمًا بعدما تعلمُ أنّ من يُحَدَّثُ قد عرَف من تعني وما تعني ، وأنّك تريدُ شيئًا يعلمه))[٩] ، ولو اختصرنا المقارنة بين الإثنين بهذا النص لكفانا النصوص الأخرى على عظم ما فيها من علاقة ، وتشابه ، ففي حديثه هذا يشترط الإضمار بمعرفة المتلقي ، وهذا لا يكون إلا بمعرفة السياق المقامي الذي بُني عليه الكلام ، وهذه الفكرة تطابق المفهوم التداولي الغربي تطابقًا تامًا ، وتُثبت أن الدرس النحوي العربي بُني على الدرس البلاغي ؛ لما ظهر عند شيخ النحاة سيبويه من متبنيات المعنى إذا ما قارناه بالمبنى ، وهذا النَّوع من التحديد في كلام سيبويه يرتبط بنوع من المتضمنات القوليّة في الدرس التداولي يُطلق عليه (الافتراض المسبق) ، وسنوسع البحث فيه في المبحث الثاني من هذه الدراسة .

أما المبرد (ت ٢٨٥) فقد وضع بابًا خاصًا لهذه الفكرة ، أطلق عليها : (باب ما يُحذف استخفافًا ؛ لأنَّ اللبس فيه مأمون ، وذلك أَنَّ للأشياء أُصولًا ، ثمَّ يُحذف منها ما يُخرجها عن أصولها. فمن هذا المحذوف ما يبلغ بالشيءِ أَصله ، ومنه ما يُحذف لأن ما بقي دال عليه))[١٠]، وفي ذلك مشابه كبيرة مع النوع الثاني من متضمنات القول في الدرس التداولي الغربي الحديث ، والذي أطلقوا عليه: (الأقوال المضمرة) ، وسنتحدث فيه تطبيقيًا في مبحث ثالث وأخير من هذه الدراسة ، ولعلماء العربية اقوال كثيرة في ذلك

المبحث الثاني

الإفتراض المسبق في كلام نساء واقعة الطف

يُعد الافتراض المسبق (Presuppose) من أَوضح التقنيات التداوليَّة المستنبطة للمعاني التي يعتقد المتكلم إدراكها من ضمنيات الكلام ، فهو ((نتيجة عمليّة الافتراض المسبق ، وهو أحد أبرز أشكال الضمني ، ذلكم الذي هو ثاوٍ في البنيَّة اللغويَّة))[١١]، فما يميزه الملائمة بين الكلام الملفوظ ، والمعاني المخفيَّة غير الملفوظة ، فهي ((بمثابة المعلومات المدسوسة خُفية. أي إنَّها تكون مزوّدة بملائمة تواصليَّة أَقل شأنا من تلك التي تتمتع بها المعلومات البيّنة ، كما أنّها تحتل مركزا أدنى مرتبة داخل البنية الرقاقية التي يتألف منها محتوى الأقوال الإجمالي))[١٢]، ويُعد الافتراض المسبق مرتكزا أساسا في الدرس التداولي ؛ لما يوفره من إيجاز في عرض الأفكار ، فهو وسيلة من ((الوسائل التي تقدمها اللغة من أجل الاستجابة للحاجة المستترة التي يشعر بها المتحدثون في عدد كبير من المواقف ، وهو سيلة للقول وعدم القول))[١٣]، والحديث يطول في تفاصيله، ومحدداته ، إلا أن من أوضح التعريفات المميزة لهذا المصطلح ما ذكره جورج يول بقوله: ((الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام ، أي أنَّ الافتراض

المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل))[١٤] ، ويتداخل الافتراض المسبق مع مصطلح الأقوال المضمرة بعض الشيء فهما يشتركان في العمليَّة الاستنتاجية إلا إن الافتراض المسبق ،((يستنتج من القول ذاته بتحويل الصيغ الكلامية إلى استفهام ثم نفي، فهو متعلق بالبنى التركيبية، بينما يتعلق الأمر أثناء القول المضمر بالملكة البلاغية والذكاء لدى المشاركين في الخطاب))[١٥]، وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الافتراض المسبق تقنيَّة تداوليَّة غربيَّة حديثة تستند للمعلومة التي يضمنها المتكلّم في سياق ما، ويعلم بتفاصيلها المتلقي .

ولابد من الإشارة إلى أن هذا المصطلح له مفهوم متقارب مع التراث البلاغي العربي تحت مسميات كثيرة منها تسميَّة (الإشارة) والواردة في تعريف ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) للبلاغة قوله هي : ((اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة.فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البَلاغَة))[١٦]،وكذلك رصد قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) تسميَّة الإشارة في قوله : ((هو أن يكون اللفظ القليل مشتملًا على معانٍ كثيرة بإيماء أو لمحة تدل عليه))[١٧]، ومن التسميات الأخر (التَّلميح) الواردة في تحليلات ابن الحجة الحموي (ت٨٣٧هـ) الشعريَّة ، وفيها يقول : ((ناظم هذا النوع في بيت أو قرينة سجع ، إلى قصة معلومة ، أو نكتة مشهورة ، أو بيت شعر حفظ لتواتره ، أو إلى مثل سائر يجري في كلامه على جهة التمثيل ، وأحسنه ، وأبلغه ما حصل به زيادة في المعنى المقصود))[١٨]،ومن التسميات المهمة المقاربة لمصطلح الافتراض المسبق تسمية (الاكتفاء)الواردة في تراث إبن معصوم المدني(ت١١٢٠هـ) ويعني بها : ((أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لكنتة، ولا يكون المكتفى عنه إلا آخرا لدلالة الأول عليه))[١٩]، وبهذا الفهم يشترك معنى المفهوم في التراث العربي القديم مع المقصود بالزيادة في المعنى في الدرس التداولي الغربي القائل بالمعنى الإضافي كما مرَّ بنا سابقا في تعريف متضمنات القول .

حاول بعض الباحثين المحدثين[٢٠] ذكر مجموعة من التَّقسيمات للافتراض المسبق مثل تفريقهم بين الافتراض المسبق الدلالي والتداولي ، فجعلوا شرط الدلالي الصدق ، والتداولي لا علاقة له بالصدق أو الكذب ، ونرى هذا التفريق لا طائل منه ، ولا يشكل نقطة تمايز عميقة بين الاثنين ، فكلاهما لا يصح فيهما الافتراض المسبق عندما يختل شرط الصدق ، فلا يمكن تبني كلام ودرسه ضمن متضمنات القول من دون أن يشترك المتكلم والمتلقي بصحة وصدق تلك المعلومات وإلا أصبحت ضرب من الخيال لا علاقة له بمتضمنات القول عامة، والافتراض المسبق خاصة ، فالأقوال المضمرة ، والافتراض المسبق ، وحتى الاستلزام الحواري تقوم على أساس الإخلاص ، والصدق سمة اساسية في دخولها ضمن الدراسة التداوليَّة .

يدخل جورج يول في تقسيمات الافتراض المسبق ضمن الدراسة التداوليَّة ، فيحصرها بثلاثة تقسيمات[٢١]،هذه التقسيمات في مجملها جمعت بين توظيف اللغة ، ومهارة الاستعمال ، فيجعلها واقعية وغير واقعية في طريقة الاستعمال ، وهذا التقسيم ينصرف إلى طريقة استعمال اللغة مقاميًّا أكثر من الجانب اللغوي ، وبنيوية ومعجميّة ووجودية متمثلة في (أل) التعريف ، وهذا التقسيم ينصرف إلى كيفيَّة توظيف الجوانب اللغوية أكثر من المقاميَّة في توظيف اللغة[٢٢] ، والحق من يعود للأمثلة التطبيقيَّة التي ذُكرت للتفريق بين هذه الأنواع يجد أنها لا تخرج عن شرط الصدق والكذب التي أسس لها أوستن وسيرل في بداية الدرس التداولي ، فجميع هذه التقسيمات تخضع لقاعدة الصدق بين المتكلمين ، وفي مجريات حصلت فعلا بين الطرفين ، يتجاوزها المتكلم في بعض الأحيان ؛ لأنه كما قال المؤلف نفسه : ((الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام ، أي أنَّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل))[٢٣]، ولعلّ القول في فرعي المؤكد وغير المؤكد [٢٤]الواردة في تقسيمات جورج يول أكثر عمقًا وأقل تشعبًا وتعقيدًا من سابقاتها ؛ لأنها مرتبطة بجوهر فكرة الافتراض المسبق في الصدق والكذب إلا أنها تستند في نوعها (غير المؤكد) إلى مسألة لا تتعلق بالافتراض المسبق وخارجة عنه ؛ لأنه لا يتدخل في الجزئيات الخارجة عن نطاق وعي المتحدثين ، وخاصة عندما تكون تلك الفرضيات كاذبة أو مغلوطة ،فهو يهتم بمباديء الحوار الأساسية ،والصدق أساس لها ، ومن دونه تنقطع عمليّة التواصل التي يقوم عليها الدرس التداولي .

وتطبيقات هذه التقنيَّة التواصليَّة الإبلاغيَّة نجدها جليَّة وواضحة في كلام نساء واقعة الطف ، وفي مقدمتهنَّ السيدة زينب عليها السلام في قولها مقدمة خطابها : ((...**أَظَنَنتَ يَا يَزِيدَ أَنَّهُ حِينَ أُخِذَ عَلِينَا بِأطرَافِ الأَرْضِ وَأَكنَافِ السَّمَاءِ فَأَصبحنَا نُسَاقُ كَمَا يُسَاقُ الأُسَارَى أَنَّ بِنَا هَوَاناً عَلَى اللهِ وَبِكَ عَلِيهِ كَرَامَةً...**)) [٢٥].

لا تتضح الافتراضات المسبقة من دون الإحاطة بسياقات الكلام المقاميَّة المشتركة بين المتكلم والمتلقي ، المتكلم هنا السيّدة زينب عليها السلام بنت الإمام علي بن أبي طالب أمها فاطمة الزهراء عليها السلام ، وجدها النبي محمد بن عبد الله نبي هذه الأمة ، وبه اهتدت بعد الضلالة والشرك ، خرجت مع أخيها الإمام الحسين عليهما السلام لتصلح ما أفسده زمرة من المنتفعين ، والذين تستروا بالدين لجني الأموال وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في قوله:((**إِنِّي لَمْ أَخرُج آشِرَاً وَلاَ بَطِرَاً وَلاَ مُفسِدَاً وَلاَ ظَالِمَاً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصلاَحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالمعرُوفِ وَأَنهَى عَنِ المُنكَر**)) [٢٦]، هذا الكلام وجهته إلى المتلقي ، هو يزيد بن معاوية ، جدته هند أكلت كبد عم النبي حمزة عليه السلام ، وجده أبو سفيان الذي واجه الرسالة المحمديَّة بكل ما لديه من قوَّة ، وفشل فشلا ذريعا ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يتم نوره في قوله تعالى : ((**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ**

الْكَافِرُونَ))[٢٧] ، قام يزيد بشراء مجموعة من الناس بأموال المسلمين ؛ لقتل الإمام الحسين عليه السلام ، وإخوته وأصحابه في واقعة الطف ، وسبي عيالاته من الطف إلى الكوفة ومن ثم إلى الشام من دون أن يراعي حرمة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، عندما نعود إلى كلام السيّدة زينب عليها السلام ، ونحن على معرفة بهذه التفاصيل يصبح لدينا القدرة على استنباط مجموعة من الافتراضات المسبقة من بينها:

*- ظلم يزيد للسيّدة زينب عليها السلام وأسرها مع عيالات النبي عليه الصلاة والسلام ، وتضييق الخناق عليها، ومن ثم التباهي والفرح بالحادثة.

وهذه الافتراضات المسبقة نُسجت بطريقة إيصاليَّة إبلاغيَّة مقصودة ، تتناسب مع مقام المتخاطبين ، والكلام العربي البليغ لا يمكن أن نطلق عليه كلامًا بليغًا من دون أن يراعي سياق الحال أو مقام الكلام ، لأنهم يرون أن ((المعنى ليس يشرفُ بأن يكون من معاني الخاصَّة ، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من معاني العامَّة ، وإنَّما مدارُ الشَّرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال))[٢٨] ، ويبدو أن السيّدة زينب عليها السَّلام أخذت بنظر الاعتبار المقام الذي يدور بسياق الحدث ، فمن غير المنطقي أن تجري حديثًا متبادلًا مع شخص أراد بك الشَّر ، والاقصاء ، والظلم عامدًا، وقد صرّحت عليها السَّلام بهذا الموقف فقالت: **((مَعَ إِنِّي وَاللهِ يَا عَدُّو اللهِ وَابنَ عَدوِّهِ أَستَصغِرُ قَدرَكَ وَاستَعظِمُ تَقرِيعَكَ))**[٢٩]، فهذا الموقف كان بحاجة لأسلوب يجمع بين إنكار وتوبيخ المخاطب للفعل ، الذي قام به ، والتنفيس عمَّا بداخلها من ألم وحزن واقعة الطف ، هذا الألم والحزن الذي عبَّرت عنه بقولها : **((غَيرَ أَنَّ العُيُونَ عَبرَى وَالصُدُورَ حَرّى))**[٣٠] .

هذا المقام كان بحاجة لفن يؤدي تلك الوظائف ، فجاء كلامها بطريقة ملائمة لذلك كله ، بأسلوب فني يُطلق عليه في البلاغة العربيَّة(الاستفهام الإنكاري) ، وهو من الأساليب الإنشائيَّة الشائعة في كلام العرب ، ويؤدي وظيفة تصوريَّة إبلاغيَّة متشعبة تتوقف على سياقتها التي ترد فيها ، يدخل مع نوع آخر من الاستفهام يكون فيه المتكلم خالي الذهن من المعلومة ، يسمى هذا النوع بالاستفهام (الاستفهام التصديقي) وهو خارج متضمنات القول ، ولا يمكن أن ندخل فيه إفتراض المسبق ، أما إذا كان المتكلم يعرف المعلومة ، ويُشرك المخاطب في سؤاله ؛ لمضامين وأغراض إبلاغيَّة ، فهنا يدخل النوع الثاني من الاستفهام ، وهو ما يطلق عليه (الاستفهام الإنكاري) أو (الاستفهام التصوري ،فالاستفهام الإنكاري مبني على التَّصور المشترك بين طرفي الخطاب، توظيفه يضمن تقديم مجموعة من الأغراض مثل : التنبيه ، التعجب ، الوعيد ، التحقير ، الإنكار ، التوبيخ ،

من بين تلك التمثلات في سورة واحدة فقط قوله تعالى: ((**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**))[٣١] ، وقوله تعالى :((**أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**))[٣٢]، وقوله تعالى:((**أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ**

الْمَصِيرُ))[٣٣] ، ولعل هذا التأثر ليس بالأمر الغريب ، فهنَّ قد تربيّن في بيت النبوَّة ، وتعلمن منه كثير من العلوم ، والمعارف ، والخطاب القرآني أول تلك العلوم والمعارف .

وهذا الأسلوب بما فيه من ميزات وفَّر للمتكلم مساحة تعبيريَّة واسعة بملفوظ مختصر يُنكر على المتلقي فعلته ((فيكون المعنى على وفق ذلك (لا تظن يا يزيد بفعلتك هذه أن لك كرامة على الله) وبذلك كشف الاستفهام عن قدرة المنشئ في التوظيف الفني وتسخير إمكاناته لتقديم تجربتهِ بصورة عميقة وشاملة، وهذه الشمولية في توصيل المعنى في الخطاب تعاضدت عليها فنية (الطباق) أيضاً إذ رفد التفاعل الدلالي بين اللفظتين (هوان) و (كرامة) الصورة شمولية المعنى في تأكيد المعنى (الإنكار) وترسيخه في ذهن المتلقي[٣٤] ، فقدَّم المتكلم المعنى بطريقة فنيَّة قائمة على أساس الاستغناء عن جواب المخاطب ، وإشراكه في الحدث في الوقت نفسه ؛ لأن المعنى قد صُرحّ به بأسلوب يوفر الغرض المقصود في الإنكار والإبطال [٣٥]، فحوَّل تلك الافتراضات المسبقة إلى حقائق مثبتة .

هذا الأسلوب البلاغي يتكرر في كلام السَّيدة زينب عليها السَّلام في موضع آخر ، فشكّل ظاهرة واضحة في طريقة تعاملها مع المتلقي ؛ ولعل ذلك يعود لما يقدمه هذا الاسلوب من تقنيَّة تواصليَّة وابلاغيَّة مع الجمهور من جهة ، وإنكاريَّة توبيخيَّة ليزيد ، فهي تقدم مجموعة من الحقائق ليس القصد منها الخبر ، وإنما توبيخ المتلقي على ما أقدم عليه من أفعال في واقعة الطف فتقول : ((... **أَمِنَ العَدلِ يَابنَ الطُّلَقَاءِ تَخدِيرُكَ نِسَاءَكَ وَإِمَاءَكَ وَسُوقُكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللهِ قَدْ هُتِكَتْ سُتُورَهُنَّ وَأُصحِلَت صَوتَهُنَ مُكتَئِبَاتٌ تَحدِي لَهُنَّ الأَبَاعِرِ وَيَحدُو بِهِنَّ الأَعَادِي مِنْ بَلَدٍ إِلى بَلَدٍ، لاَ يُراقَبنَ وَلاَ يُؤوِينَ، يَتَشَوَّفَهُنَ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ، لَيسَ مَعَهُنَّ وَلِيٌّ مِنْ رِجَالِهِنَّ.....**))[٣٦]، فمعرفتنا بسياق الحال لعموم الخطاب توفر لنا القدرة على القول بمجموعة من الافتراضات المسبقة:

*- المتلقي خدّر عائلته من النساء ، ولم يرع عيال النبي عليه الصلاة والسلام .

*- المتلقي عمل على أسر نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وسبيهن من بلد إلى بلد

*- المتلقي لم يعبأ بما فعل ، وقصد إلى ذلك قصدا .و المتلقي ينتمي إلى سلالة تميَّزت بالعداء من بداية الرسالة النبويّة .

تلك الافتراضات نستخرجها من حال المتخاطبين أي من سياق الكلام ، والحالة التي تسبق الكلام ، فهي خاصة بالمتكلمين قُدّمت بأسلوب منح جمهور الحاضرين في مجلس يزيد الذي يَعُد نفسَه خليفة المسلمين التَّعرف على شخصيَّة المتكلم المنتمي إلى سلالة نبويّة أسَّست لخلافة إسلاميَّة تمتد بجذورها إلى رسول الأمة ، والتي من المتوقع حمايتها من يتقلد أمور المسلمين ، إلا أن تلك الافتراضات أثبتت أن المخاطب لم يصن تلك الأمانة ؛ لأنَّه ينتمي إلى تلك السلالة الطليقة ، فهي لا تمت للإسلام بصلة ، وإنما تتصل بأبي سفيان الطليق ، وهند آكلة الأكباد ، ولعل سائل يسأل فيقول : إذا كان الافتراض المسبق تقنيَّة

تُشرك المتلقي بالمعاني بطريقة خفيَّة أو غير ظاهرة ، وتُستنبط من السياق المقامي للمتخاطبين ، والمتلقي لم يتنكر لذلك ، فما الجدوى من توجيه هذا الكلام ، وبهذه الطريقة من دون أن تشير لها جهارًا ؟

ومن تمثلات الافتراض المسبق في كلام واقعة الطف كلام السّيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السَّلام مخاطبة أهل الكوفة : ((**وَيلُكُم أَتَدرُونَ أَيّةِ يَدٍ طَاعَنتنَا مِنْكُم، أَو أَيَّةِ نَفسٍ نَزَعت إِلَى قِتَالِنَا ، أَمْ بِأَيَّةِ رِجلٍ مَشِيتُم إِلينَا تَبتَغُونَ مُحَارَبَتَنَا ؟ قَستْ قُلُوبُكُم، وَغَلُظَتْ أَكبَادُكُم، وَطُبِعَ عَلَى أَفئِدَتِكُم، وَخُتِمَ عَلَى سَمعِكُم وَبَصَرِكُم، وَسَوَّلَ لَكُم الشَّيطَانُ وَأَملَى لَكُم، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِكُم غَشَاوَةً فَأَنتُم لاَ تَهتَدُون**)) [٣٧]،

سياق الحال في كلام السيِّدة فاطمة عليها السَّلام في الكوفة يختلف عما عليه كلام السيّدة زينب عليها السَّلام في الشام ،فقد وظفت عليها السَّلام في كلامها مجموعة من الاستفهامات الإنكارية الموجهة ، وهي على النحو الآتي :

*- **أَتَدرُونَ أَيَةِ يَدٍ طَاعَنتنَا مِنْكُم ؟** و **أَيَّةِ نَفسٍ نَزَعت إِلَى قِتَالِنَا؟**و **بِأَيَّةِ رِجلٍ مَشِيتُم إِلينَا تَبتَغُونَ مُحَارَبَتَنَا ؟**

هذه الإستفهامات تكشف عن مجموعة من الإفتراضات المسبقة في الكلام هدفها الإنكار والتوبيخ ؛ لعلم المتلقي بتفاصيلها ، فهما يتشاركان المعلومة ، ولم يكن هدف المتكلم يستوضح أو يستعلم تلك الأحداث التي يكشف حال المتخاطبين ومقام الكلام عن تفاصيلها ، وكلها تدور حول فهمنا القائم على مجموعة من الإفتراضات المسبقة :

*- **حمل المتلقي السلاح ومشاركته في قتال المتكلم .والمتلقي يحمل نفس قاسيَّة ؛لابتعادها عن الله ، فسارت قدمًا من دون أدنى تردد.و المتكلم لا يحمل علاقة وديَّة مع المتلقي ؛ لحمله السلاح ومقاتلته .**

هذه الافتراضات نستنتجها من مقام المتخاطبين ؛ ((فلكي يحقق الخطاب فعالية يعتمد المخاطب عناصر تجعله يتوجه إلى التلميح أي يقول ما يرغب فيه دون أن يصرح بذلك، وما على المتلقي إلا إدراك مال أقواله دون الإفصاح بدوره))[٣٨]، وهذا ما ذهبت إليه السيِّدة فاطمة عليها السلام ، عندما أشركت في قولها المخاطب (أهل الكوفة) بجميع الاستنتاجات المسبقة ؛ لتثبت في خطابها هذه الجريمة بعدما حولَّتها إلى حقائق تأريخيَّة راسخة على مر العصور .

وصحة الافتراضات المسبقة مشروطة بموافقة ورفض المتلقي ، وقد أُثبتت تلك الافتراضات المسبقة تاريخيًا ، وأُثبت معها مشاركة المخاطب في صنعها ، وهذا ما يمكن أن نجده في فعلهم في البكاء في خطبة أم كلثوم عليها السَّلام فتقول : ((**يَا أَهْلَ الكُوفَة، سَوأَةً لَكُم، خَذَلتُم حُسِيناً وَقَتَلتُمُوهُ، وَانتَهَبتُم أَموَالَهُ وَوَرِثتُمُوهُ وَسَبِيتُم نَسَاءَهُ وَنَكبتُمُوهُ، فَتَبّاً لَكُم وَسُحقاً، وَيلَكُم، أَتَدرُونَ أَيَّ دَوَاهٍ دَهَتْكُم ؟ وَأَيَّ وِزرٍ عَلَى ظُهُورِكُم حَمَلتُم ؟ وَأَيَّ دِمَاءٍ سَفَكتُم ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ أَصَبتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ أَموَالٍ انتَهَبتُمُوهَا ؟ ....قَالَ : فَضجَّ النَاسُ بِالبُكَاءِ وَالحَنِينِ وَالنَوحِ ...**)) [٣٩]، وهذا الكلام يتضمن مجموعة من

الافتراضات المسبقة التي تتفق مع ماذكرته السيّدة فاطمة ، والسيدة زينب عليهما السلام في الأمثلة التطبيقيَّة السابقة فيشتركن عليهن السلام.

المبحث الثالث

الأقوال المضمرة في كلام نساء واقعة الطف

عملية التواصل الذهني بين المتحاورين تَسبقها مجموعة من المواضعات المعرفيَّة والتواضعات اللغويَّة، والثقافة المشتركة ، وسياقات الحوار القبليَّة والبعديَّة ، فتُترجم تلك الشروط والمواضعات إلى عملية كلاميَّة ذات معاني تصريحيَّة (مباشرة) أو معاني تضمينيَّة مضمرة (غير مباشرة) ، وهذه العمليَّة التخطاطبيَّة بصنفيّها ترتبط بقدرات المتكلم ، وقصديته ، وموقفه ، فمنهم من يعمد إلى عدم التَّصريح ، ومنهم من يعمد إليه على وفق الظروف المحيطة بالعمليَّة التخاطبيَّة ، ولن يُحقق المتكلم التواصل الذهني الإيجابي في حالة عدم التصريح بالمعاني أو الأفكار المقصودة من دون أن يترك دليلًا على إضمارها يفهمُه المتلقي؛ لأن هذه الأقوال المُضمرة : ((هي محتويات ضمنيَّة تداوليَّة أي استنباطات مستخرجة من السياق من قبل المتلفظ المشارك بفضل الاستدلال (raisonnement) عفوي))[٤٠]، وعلى هذا الأساس يحرص المتكلم في عمليَّة التخاطب على إيصال المعاني المباشرة وغير المباشرة ، وتوظيف كل منهما بشكل يتناسب مع المقام ، ففي بعض الأحيان يجب على المتكلم عدم التصريح ؛ لأمور إجتماعيَّة أو نفسيَّة أو سياسيّة أو فنيَّة ولكن هذه الدواعيه لا تعفيه من توخي الحذر من معرفة المتلقي لتلك المعلومات ؛ لأن ((كل الأقوال المضمرة تحوي كل الأخبار القابلة لأن تكون مولة بواسطة الملفوظ. فهي تقوم على قصدية المتكلم. وحدس المخاطب الذي يلجأ إلى الحسابات التأويلية لفك رموزها))[٤١].

ويدخل متلقي الكلام كعنصر مهم في إنجاح عمليَّة التواصل اللفظي للأقوال المضمرة ، فعلى المتكلم أن يثق بفهم المتلقي لدلالات تلك المعاني المضمرة ، وهذا يتطلب كفاءة لغوية عاليّة ، فيعمل على استنتاج ((من القول ذاته بتحويل الصيغ الكلامية إلى استفهام ثم نفي، فهو متعلق بالبنى التركيبية، بينما يتعلق الأمر أثناء القول المضمر بالملكة البلاغية والذكاء لدى المشاركين في الخطاب))[٤٢].

فالأقوال المضمرة في الدرس التداولي الغربي تتمثل بأوضح صورها في الفنون البيانيَّة في الدرس العربي ، فالعربي يميل إلى عدم التصريح أو المباشرة في المعاني ، ولكنه يترك دليلا على عمليّة إضمار تلك المعاني ، ومن تلك الفنون البيانية الكناية فيرومون فيها: ((وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك، ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويلتبس بهِ، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من إثبات لا من جهتهِ الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى ومسلك يدق)) [٤٣]، فلو عملنا مقارنة مثلًا ببعض ما قالته أوركيوني في الأقوال المضمرة ، وما قاله عبد

القاهر الجرجاني لكفى في بيان هذا التقارب الكبير في تشابه منطلقات كل من فكرة الأقوال المضمرة ، فهي ترى أن بالإمكان التعبير عن الأشياء البيِّنة بصيغة المضمر عن طريق التفنن بإيجاد طريقة مختلفة في القول ، يعتمد فيها المتكلم على مجموعة من الافتراضات ومضمنات واستنتاجات وإلماحات وعلاقات تضمينية ، وتأويلات مجازية[٤٤]، وهذا ما أشار له الجرجاني في فن من الفنون المجازية ، وهو الكناية فيقول في تحديدها : ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه)) [٤٥]، وبهذا لم تعد الكناية عند عبد القاهر الجرجاني مجرد إشارات متفرقة بل مفاتيح للمعنى الثانوي للفظ لا من اللفظ نفسه ، وهذا ما أوقفه على الحديث عن المعنى، ومعنى المعنى ، ومن يتأمل في تعريف الجرجاني عميقًا يجده في هذا الفن يشترط على المتكلم لهذا الفن ، وضع لازمة أو قرينة دالة على القول المضمر أو المعنى المقصود ، وهذا الأمر نفسه تشترطه أوركيوني فتقول : ((أننا نعجز عن فك ترميز المحتويات المُضمرة مالم نلجأ ، بالإضافة إلى المعلومات المتعلقة بالنظام اللغوي المعني في إنشاء القول إلى بعض المعلومات المتعلقة بما يلي :

*- السياق الخارجي عن الكلام ((أي الكفاءة الموسوعية)) وطريقة عمل (القواعد التحادثيَّة) أو (قوانين الخطاب) (أي الكفاءة البلاغية التداولية التواصلية) وأخيرا ، بعض الآليات التي تميِّز (المنطق الطبيعي) (أي الكفاءة المنطقيَّة)))[٤٦]

وهذه الشروط السياقيَّة وملفوظها لا تبتعد عن فكرة الجرجاني في المضمر من القول في الكلام العربي،وفي القراءة الشاملة لكلام السيّدة زينب عليها السَّلام نجد واضحًا شيوع هذه الأقوال المضمرة للحد الذي يشكل ظاهرة يمكن أن تُفرد لها دراسة منفصلة ؛ نظرًا لكثرة ما وظفته من كنايات أضفت عمقًا دلاليًا، وتصورً بيانيًا مميزًا ،ويتجلى ذلك في ما أشارت إليه السيدة زينب عليها السلام في خطبتها أمام يزيد في الشام وهي تقول: ((... **أَمِنَ العَدلِ يَابنَ الطُلَقَاءِ تَخدِيرُكَ نِسَاءَكَ وَإِمَاءَكَ وَسُوقُكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللهِ**)) [٤٧].

الدرس التداولي الغربي يفرض في عمليَّة استنتاج الأقوال المضمرة التناسب بين الملفوظ الظاهر ، والمستنبط الخفي ، فهما يخضعان لسياق مقامي واحد يُدلِّل فيه الملفوظ على المستنبط المضمر .

وفي موضع آخر من الخطبة نفسها تقول : ((... **وَكَيفَ تُرتَجى مُرَاقَبَةُ مَنْ لَفِظَ فُوهُ أَكبَادَ السُعَدَاءِ...**))[٤٨] ، فقولها:(لفظ فوه أكباد السعداء)،هذه العبارة هي الظهير أو الدليل الذي عمق النتيجة المطلوبة ؛ لأنه ورد في سياق يجعلنا نعود إلى الحادثة التأريخية وتسخيرها في تعميق المعنى وإثارته في نفس المتلقي

وهذا التقنيّة الكنائية أو الأقوال المضمرة تتكرر في كلام السيدة زينب عليها السَّلام ليزيد بن معاوية في الشام بعد مقتل أخيها الحُسين ، وسبي عياله قولها : ((**فَشَمَختَ بِأَنفِكَ وَنَظَرتَ فِي عَطفِكَ، جَذْلاَناً**

فَرِحَا)) [٤٩]، ويبدو أن الصورة الكنائية في الخطاب بُنيت بألفاظ تواضع عليها الناس على مختلف العصور ، وفيها نقل حقيقي لسلوك يزيد المتطاير في مجلسهِ بعد حادثة كربلاء، وجلب رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام ، فتعميق الرؤية للكلام ، وربطها بالسياق الذي قيلت فيه ، يمكننا أن نستنتج قول مضمر هو (العلو والغطرسة) ويشترط كلاهما العربي والغربي وجود دليل أو شاهد على الإضمار أو الحذف ، فلا يصح الإضمار من دون دليل في الملفوظ ، ومعرفة سابقة في الأحداث[٥٠] ، فلا يصح الإضمار أو الحذف من دون العلم بالمحذوف ، فتلك العمليَّةُ تحتِّم على المتكلم ترك دليل عليه أو قرينة دالة على وجود المحذوف كأن تكون دلالة لفظية ، وفيها يتطابق المحذوف للمذكور معنويًا ، أو دلالة مقاميَّة تستنبط من سياق الكلام ، أو دلالة عقليَّة منطقيَّة لا يستقيم فيها الكلام من دون معرفة المحذوف[٥١]، فتلك الموجبات ، ودلائها المعرفيَّة توجب على المتكلم الموافقة بين الملفوظ (الدلالة اللغوية)، ومقام المتكلم (الدلالة المقامية أو السياقية) ، وقرائن منطقية عقلية يستنبط المتلقي منها المعنى المضمر في القول ، نستنتج مما تقدم من علل الدارسين للإضمار هناك مجموعة من الأسباب يمكن أن نجملها في الدرس العربي على وفق الآتي:

*- الدرس البلاغي العربي يحرص على إظهار جانب من المعنى وإخفاء آخر، فذلك يفرض علينا نوعا من الانتباه للمعنى المقصود ، فتُثير لغة الإيحاء المتضمن لأقوال مضمرة في المتلقي تأثيراً يفوق لغة التصريح ،وهذا الحرص يتطلب براعة في اختيار الملفوظ، وقدرات معرفيَّة ثقافيَّة ، ورصيد وكفاءة لغوية عاليَّة ، وهذا ما وجدناه في كلام نساء واقعة الطف .

*- الإيجاز سمةٌ بلاغيَّة مميزة يميل إليها العربي في كلامه ، ولعلَّ هذا الأمر يُلقي على المتكلم مسؤولية الإضمار عن طريق تقنيَّة الإيجاز ، فهو ((في الدليل أبلغ أثرًا في المستمع مما لو عمد المستدل إلى بسط دليله بسطا ، ذلك إن المشاركة المطلوبة من المستمع في تقدير ما حُذف من الدليل تجعله وكأنه لم يُحمل على النتيجة حملًا ، وإنما وصل إليها بمحض إرادته أو من تلقاء نفسه كما لو كانت ظهرت على يده لا على يد مخاطِبه))[٥٢] ، وهذا ما تتماز به النصوص الفنيَّة .

*- علم المتلقي بالقول المضمر ، وهي شرط من شروط نجاح العمليَّة التواصليَّة كما قلنا سابقا ؛ لذلك لا يقف عندها المتكلم كثيرا ، ويقصد إلى إضمارها قصدا واعيًا ، وبطرق متنوعة.

ومن تمثلات الأقوال المضمرة في خطب السيدة زينب عليها السلام في الخُطبة نفسها قولها : **((غَيرَ أَنَّ العُيُونَ عَبرَى وَالصُدُورَ حَرّى))**[٥٣]،فعَبرَة العيون ، وحرارة الصدور تومىء إلى معنى مضمر عن طريق التصوير الكنائي باستعارة اللازم للإشارة إلى الملزوم ؛ لأن العيون كأدوات إدراك حسي مفضية للدموع، وليس هي الدموع ذاتها، وإنما تم التراسل بينهما طلباً لمعنى عمقه المتكلم في التلميح أكثر من التصريح فعندما نعرض كلام السيدة أم كلثوم وهي تخاطب اهل الكوفة بقولها : **((وَيلَكُم، أَتَدرُونَ أَيَّ دَوَاءٍ دَهَتْكُم ؟**

وَأَيَّ وِزرٍ عَلَى ظُهُورِكُم حَمَلتُم ؟ وَأَيَّ دِمَاءٍ سَفَكتُم ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ أَصَبتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ صَبِيَّةٍ سَلَبتُمُوهَا ؟ وَأَيَّ أَموَالٍ انتَهَبتُمُوهَا ؟))[٥٤] ففي القول معاني مضمرة خلف كل استفهام من الاستفهامات ، فهي لا تسأل بقدر ما تحمل تلك الاستفهامات أقوال مضمرة يحكمها معنى مركزي يتمثل في اللوم والعتب على ما فعلوه في واقعة كربلاء ن ويمكننا أن نقدر تلك الأقوال المضمرة على وفق سياق التكلم ، والمعرفة التاريخيَّة للواقعة على وفق الآتي :

*- ما فعلتموه في الطف مصيبة عظيمة وذنب عظيم، وذنب ثقيل سيقصم ظهوركم

وهذه التقنيَّة الاضمارية للأقوال في خطب السيدة أم كلثوم ، وعدم التصريح بالمعاني المباشرة عملت على تعزيز النص ، وتعميقه في ذهن المتلقي أكثر من التصريح ، فهي لا تحتاج إلى الشرح والتفصيل في أمور يعلمها ، وهو قريب العهد ، فهي ليست بالبعيدة منه ، ويعرف جميع تفاصيلها الدقيقة ، وإعادة الحادثة بالمباشرة ما هي إلا حشوا لا يحقق العمق الذي يمكن أن يحدثه الإضمار، فالعرب تميل إلى الإيجاز ، والاختصار في الكلام تخفيفًا ؛ لعلم المتلقي بتمام معناه حتى ولو أضمر المعنى وراء اللفظ ، فأوردتها السيدة أم كلثوم بهذه الطريقة ؛ لتجعل المتلقي أكثر تفكيرا في المعاني التي سبق وأن قصد إليها قصدًا .

ونجد تمثلات الأقوال المضمرة في كلام أمّ عمرو بن جنادة (رضي الله عنهما) وجهة كلامها إلى الجيش بعد استشهاد ولدها عمرو في الواقعة مرتجزة وهي تقول:

أنا عجوزٌ في النّساءِ ضَعيفة ....أَضرِبكُم بضربةٍ عنيفَة

باليَةٌ خاليَّةٌ نحيفَة ....دون بني فاطمة الشَّريفة

في العودة لمقام كلام السيدة أم عمرو نجد أن لها زوج وإبن قد استشهدا في واقعة الطف ، فجاءت هذه الأبيات ردة فعلٍ كاشفة لحرقتها ، وإصرارها على المضي قدمًا في تحقيق هدفها الذي سنقف عنده في الأقوال المضمرة ، فكأنها تُضمر عجزها عن تحقيق هدفها في قتل أكبر عدد ممكن من الأعداء ، ولعلَّنا نجد في كلامه أكثر من قول مضمر منها :

أولا : الإيمان بمبدأ مواصلة القتال ، ونصرة المظلوم حتى النهاية مهما كانت مستلزمات القتال ضعيفة ، فهي ترى أنها : (امرأة- عجوز- باليَّة – خاليَّة – نحيفة) كل هذه الأمور لن توقفها عن تحقيق هدفها المنشود ، وهو نصرة المظلوم ، وقتال الظالم .

ثانيًا : تقدِّم العذر بعجزها عن قتلِ أكبر عدد ممكن من الأعداء في المعركة ؛ وللأسباب نفسها فهي : (((امرأة- عجوز- باليَّة – خاليَّة – نحيفة).

ثالثًا : وعد ووعيد المخاطبين في المعركة بأنها ستكون شديدة بأس ، وإن لم تتوفر هذه المتطلبات التي يجب توفرها في المقاتل (الرجل- الشاب- اليافع- القوي).

رابعًا : هي تقاتل إلى جانب الشَّرف المتمثل في الانتماء إلى معسكر الحسين عليه السلام فأخرجت من يقاتله من هذه الدائرة التي تنتمي إلى رسول الأمة وشرفها ، وأدخلتهم في دائرة الفساد.

الخاتمة والنتائج :

أولا : فكرة الافتراض المسبق وعلاقتها بالدرس العربي القديم تستحق دراسة أكاديميَّة مستقلة ، هدفها القضاء على الوهم الذي يلازم كثير من الدراسين المحدثين في بناء علاقة متطابقة بين ما يُصطلح في الدرس الغربي ، وما يُفهم من الدرس العربي القديم من مفاهيم وتصورات معرفيَّة هناك تشابه بين المفهوم العربي، والمصطلح الغربي، ولكن هذا التشابه لا يصل حد التَّطابق التام في الفكرتين، فمنطلقات دراسة كل منهما مختلفة ، فمنطلق دراسة الافتراض المسبق في الدرس التداولي الغربي نفعيَّة تواصليَّة، ومنطلق دراسته في الدرس البلاغي العربي بيانيَّة جماليَّة ، وحجتنا في ذلك أن تلك المفاهيم أغلبها وُجد في المباحث البلاغية لأقوال علماء العربيَّة.

ثانيا : يشكل الاستفهام الإنكاري ظاهرة واضحة في كلام نساء واقعة الطف ، ويبدو توظيف هذا النوع من الاستفهام من دون غيره في كلام نساء واقعة الطف بشكل عام ، والسيّدة زينب عليها السلام بشكل خاص سببه التَّأثر بأسلوب القرآن الكريم .

ثالثا: الأقوال المضمرة في الدرس التداولي الغربي تتمثل بأوضح صورها في الفنون البيانيَّة في الدرس العربي ، فالعربي يميل إلى عدم التصريح أو المباشرة في المعاني ، ولكنه يترك دليلا على عمليّة إضمار تلك المعاني.

الهوامش:

١ – التواصليَّة اليوم علم جديد للتواصل : روبول، آن ؛ موشلار، جاك.: ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط١ ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٣م : ٥١.

٢ – ينظر : القاموس الموسوعي للتداوليَّة ، جاك موشلر وآن ريبول : ٥٧٢.

٣ – ينظر : التداوليَّة ، جورج يول ، تر . د. قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٧٩.

٤ – معجم المصطلحات الألسنيَّة ، مبارك المبارك ، دار الفكر اللبناني ، بيروت– ط١ ، ١٩٩٥م : ٥٨.

٥ – المُضمر : كاترين كيربرات أوريكيوني ، تر . ريتا خاطر ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان– بيروت ، ط١، ٢٠٠٨م : ٤٠.

٦ – النص والسياق –إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي– ، فان دايك ، تر. عبد القادر قنيني ، أفريقيا– الشرق– المغرب ، ٢٠٠٠م: ١٥٦.

٧ – التضمين– الحذف ، الإحتباك ، الإخفاء ، الإضمار وغيرها من المفاهيم المبثوثة في كتب التراث العربي القديم .

٨ – ينظر في تلك الاختلافات والتوافقات في المصطلحين كتاب: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د.طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندريَّة ،١٩٩٨م : ١٨ وما بعدها .

٩ – الكتاب ، لأبي بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ) ، تح. عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨م : ٢/ ٦.

١٠ – المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرَد (ت٢٨٥هـ)، تح. محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ١٩٩٤م : ١/ ٣٨٣.

١١ – المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، تر . محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٨م:١٠٥.

١٢ – المضمر ، كاترين كيربرات أوريكيوني ، تر . ريتا خاطر ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان– بيروت ، ط١، ٢٠٠٨م : ٤٤.

١٣ – الملفوظيَّة ، جان سيرفوني ، تر . قاسم مقداد ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق– سوريا، د.ت ، ١٩٩٨م : ١٠٦.

١٤ – التداوليَّة ، جورج يول ، تر . د. قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠م :٥١.

١٥ – لسانيات التلفظ وتداوليَّة الخطاب ، حمو الحاج ذهبيَّة ،دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي ، ط٢، ٢٠١٢م : ١٩٧.

١٦ – البيان والتبيين : ١الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٧، ١٩٩٨م : ١/ ١١٥– ١١٦.

١٧ – نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) تح. محمد عبد المنعم خفاجة ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،د.ط.، ١٥٤–١٥٥.

١٨ – خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) ، تح. عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ، بيروت– لبنان الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤م: ١/ ٤٠٦.

١٩ – أنوار الربيع في أنواع البديع ، بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) ، تح . شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف– العراق ،ط١، ١٩٦٨م : ٣/ ٧١.

٢٠ – ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود نحلة : ٢٨، وينظر، مباديء في اللسانيات ، خولة طالب ، دار القصبة ، الجزائر ، ط٢، ٢٠٠٠م: ١٦١.

٢١ – ينظر: التداوليّة ، جورج يول : ٥٤ وما بعدها .

٢٢ – ينظر : التداولية جورج يول : ٥٦ ومابعدها .

٢٣ – التداوليَّة ، جورج يول ، تر . د. قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠م :٥١.

٢٤ – ينظر : التداوليَّة ، جورج يول : ٥٥.

٢٥– بلاغات النساء: ٣٥.

٢٦ – الفتوح : ٥ / ٣٣ ، المناقب : ٤ / ٨٩ .

٢٧ – سورة التوبة : ٣٢.

٢٨ – البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تح. عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت– لبنان ،د.ت : ١/ ١٣٦.

٢٩–بلاغات النساء:٣٦.

٣٠–بلاغات النساء: ٣٦، مقتل الخوارزمي: ٢ / ٧٢، الاحتجاج: ٢ / ٣٣، الملهوف: ٢١٥.

٣١ – آل عمران : ٨٣.

٣٢ – آل عمران : ٨٠.

٣٣ – آل عمران : ١٦٢– ١٦٣.

٣٤ – التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينيَّة ، د. هادي سعدون هنون ، العراق– النجف الأشرف، ط١ ، ٢٠١١م: ١٤٦– ١٤٧.

٣٥ ينظر: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي: حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار، دار المعالم، (د.ت): ١١.

٣٦- بلاغات النساء : ٣٥-٣٦، ينظر : مقتل الخوارزمي : ٢/٧١-٧٤، الاحتجاج : ٢/٣٢-٣٤، اللهوف : ٢١٥، مثير الأحزان : ١٠١، بحار الأنوار : ٤٥/١٣٣-١٣٥، باختلاف بعض الألفاظ .

٣٧- الإحتجاج ، أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (ت٥٢٠هـ) ،دار الدار القيّم، بيروت- لبنان،ط١، ٢٠١٠م ٢/٣٢٧.

٣٨ – لسانيات التلفظ وتداوليَّة الخطاب : ١٩٤.

٣٩- اللهوف : ١٩٨، بحار الأنوار : ٤٥/١١٢ .

٤٠ – المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، تر . محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٨م: ١١٩.

٤١ – لسانيات التلفظ وتداوليَّة الخطاب ، حمو الحاج ذهبيَّة ،دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي ، ط٢، ٢٠١٢م : ١٩٦.

٤٢ – لسانيات التلفظ وتداوليَّة الخطاب : ١٩٧.

٤٣- دلائل الأعجاز: ٣٠٦ .

٤٤- ينظر : المُضمر : ٢٤.

٤٥- دلائل الإعجاز: ٦٦.

٤٦ – المضمر : ٢٤.

٤٧- بلاغات النساء٣٥، و ينظر: مقتل الخوارزمي: ٢/٧٢، الاحتجاج: ٢/٣٣.

٤٨- مقتل الخوارزمي: ٢/٧٣، و ينظر: الاحتجاج: ٢/٣٣، اللهوف: ٢١٥، مثير الأحزان: ١٠١.

٤٩- بلاغات المساء: ٣٥.

٥٠ – ينظر في ذلك : في التداولية المعاصرة والتواصل ، إبراهيم مولز وكلود زليتمان ، وأريكيوني ، تر. محمد نظيف ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء – المغرب ، ٢٠١٤م : ٨٤- ٨٥، الخطاب الموسط مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات ، أحمد المتوكل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، دار الأمان ، المغرب ، ط١ ، ٢٠١١م : ١٦.

٥١ – ينظر : أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، محمد شاوش ، جامعة منوبة ، كلية الآداب ، منوبة المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١م : ٢/ ١١٨٧.

٥٢ – اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م : ١٥٠.

٥٣- بلاغات النساء:٣٦.

٥٤- اللهوف : ١٩٨، بحار الأنوار : ٤٥/١١٢ .

المصادر:

القرآن الكريم

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، محمود نحلة : ٢٨، وينظر، مباديء في اللسانيات ، خولة طالب ، دار القصبة ، الجزائر ، ط٢، ٢٠٠٠م:

٢- الإحتجاج ، أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (ت٥٢٠هـ) ،دار الدار القيّم، بيروت- لبنان،ط١، ٢٠١٠م.

٣- أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي: حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار، دار المعالم، (د.ت).

٤- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، محمد شاوش ، جامعة منوبة ، كلية الآداب ، منوبة المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس ، ٢٠٠١م

٥- أنوار الربيع في أنواع البديع ، بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) ، تح . شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان، النجف- العراق ،ط١، ١٩٦٨م.

٦- بحار الأنوار لدر الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي (١١١٠هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت ،٢٠٠٠م.

٧- بلاغات النساء ، أحمد بن أبي طاهر طيفور(ت٢٨٠هـ) دار النهضة الحديثة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢م.

٨- البيان والتبيين : ١الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط٧، ١٩٩٨م .

٩- التداوليَّة ، جورج يول ، تر . د. قصي العتابي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٠م.

١٠- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينيَّة ، د. هادي سعدون هنون ، العراق- النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠١١م.

١١-التضمين- الحذف ، الإحتباك ، الإخفاء ، الإضمار وغيرها من المفاهيم المبثوثة في كتب التراث العربي القديم

١٢- التواصليَّة اليوم علم جديد للتواصل : روبول، آن ؛ موشلار، جاك.: تر: سيف الدين دغفوس ط١ ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة ، ٢٠٠٣م

١٣- خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) ، تح. عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ، بيروت- لبنان الطبعة الأخيرة ، ٢٠٠٤م

١٤- الخطاب الموسط مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة ، أحمد المتوكل ، منشورات الاختلاف، المغرب ، ط١ ، ٢٠١١م

١٥- دلائل الاعجاز في علم المعاني ،عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)تحقيق ،محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط٥، ٢٠٠٤م.

١٦- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د.طاهر سليمان حمودة ، الدار الجامعية ، الإسكندريَّة ،١٩٩٨م .

١٧- في التداولية المعاصرة والتواصل ، إبراهيم مولز وكلود زليتمان ، وأريكيوني ، تر. محمد نظيف ، أفرقيا الشرق ، الدار البيضاء – المغرب ، ٢٠١٤م

١٨-القاموس الموسوعي للتداوليَّة ، جاك موشلر وآن ريبول .

١٩- الكتاب ، لأبي بِشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ) ، تح. عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٨م

٢٠- لسانيات التلفظ وتداوليَّة الخطاب ، حمو الحاج ذهبيَّة ،دار الأمل للطباعة والنشر ، تيزي ، ط٢، ٢٠١٢م .

٢١- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٢٢- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، تر . محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٨م:

٢٣- المُضمر : كاترين كيربرات أوريكيوني ، تر . ريتا خاطر ، المنظمة العربية للترجمة ، لبنان- بيروت ، ط١، ٢٠٠٨م

٢٤- المقتضب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرَد (ت٢٨٥هـ)، تح. محمد عبد الخالق عضيمة ،القاهرة ، ١٩٩٤م.

٢٥- معجم المصطلحات الألسنيَّة ، مبارك المبارك ، دار الفكر اللبناني ، بيروت- ط١ ، ١٩٩٥م .

٢٦- الملفوظيَّة ، جان سيرفوني ، تر . قاسم مقداد ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق- سوريا ، د.ت ، ١٩٩٨م.

٢٧- النص والسياق -إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي- ، فان دايك ، تر. عبد القادر قنيني ، أفريقيا- الشرق- المغرب ، ٢٠٠٠م.

٢٨- نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) تح. محمد عبد المنعم خفاجة ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ،د.ط..